المجاز العقلي

تطوره وعلاقاته وبلاغته

عايدة عبد العزيز محمد زعلوك

استاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية

استاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق جامعة الأزهر بمصر

ahmdaldrf012@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/02/09	تاريخ القبول: 2023/04/06	تاريخ النشر: 2023/06/01

Research Summary

The word "metaphor" first appeared at the hands of Abu Ubaidah (d. 210 AH) in his book "Metaphor of the Qur'an."

Then Al-Jahaht (d. 255 AH) was the first Mu'tazili to use metaphor in interpretation, and he used it in the sense corresponding to the truth, and made it reveal a facet of the statement, just as the people of metaphor were denied in general. It was also rejected by Ibn al-Qadhi in the fourth century "d. 335 AH", who is a Shafi'i, and Abu Muslim al-Asbhani "d. 370 AH" and others to deny metaphor.

But the majority of the Sunnis, the Mu'tazila, and the Ash'aris believed otherwise. Metaphor - according to them - is not a lack of expression. On the contrary, it is a richness of expression unique to the language, and there is no suspicion of lying in it

This similarity between Ibn Qutayba and Ibn Rasheeq Ali, after the distance between them, confirms the keenness of the speakers to completely deny the suspicion of lying from the metaphor, and the suspicion of lying in this metaphor raises Imam Abd al-Qaher, and

makes him describe whoever said this suspicion as a great mess, Al-Mubarrad mentioned the mental metaphor In his book "Al-Kamil", although he was not mentioned by his name

Al-Farra' also talked about it in his book "The Meanings of the Qur'an" and benefited from the previous ones, such as Kesibawayh and Abi Ubaidah. The research dealt with the definition of mental metaphor, its relations and rhetoric.

Keywords: mental metaphor - its development - its relations - its rhetoric

ملخص البحث

جاء لفظ " المجاز " أو ل ما ظهر على يد أبي عبيدة (ت 210 هـ) في كتابه " مجاز القرآن "، ثم استعمل الجاحظ (ت 255 هـ) هو أول معتزلي المجاز في التأويل ، ويستخدمه بالمعنى المقابل للحقيقة ، ويجعله كاشفاً لوجه من وجوه البيان ، كما أنكر قوم المجاز عامة فيقول السيوطي : (رفض المجاز الظاهرية في القرن الثالث ، ..... ، كما رفضه أيضاً ابن القاض في القرن الرابع " ت 335 هـ " وهو من الشافعية ، وأبو مسلم الأصبهاني " ت 370 هـ " وغيرهم إلى إنكار المجاز

لكن جمهور أهل السنة والمعتزلة والأشاعرة كانوا يرون خلاف ذلك فالمجاز – عندهم – ليس عجزاً في التعبير على العكس من ذلك أنه ثراء في العبارة تنفرد به اللغة ، وليست فيه شبهة الكذب

وهذا التشابه بين ابن قتيبة وابن رشيق على بعدما بينهما ، يؤكد حرص المتكلمين على نفي شبهة الكذب من المجاز نفياً تاماً ، وشبهة الكذب في المجاز هذه تثير الإمام عبد القاهر ، وتجعله يصف من قال بهذه الشبهة ، بأنه يخبط خبطاً عظيماً ، ،ذكر المبرد المجاز العقلي في كتابه " الكامل " وإن كان لم يذكر باسمه

كما تحدث عنه الفراء في كتابه " معاني القرآن " واستفاد من السابقين كسيبويه وأبي عبيدة، وتناول البحث تعريف المجاز العقلي وعلاقاته وبلاغته

الكلمات المفتاحية : المجاز العقلي- تطوره-علاقاته -بلاغته

1. مقدمة:

يتناول البحث المجاز العقلي وهو من المباحث البلاغية الأكثر أهمية في الدرس البلاغي

اشكالية البحث : ما مراحل تطور المجاز ؟ ما الحقيقة العقلية ؟ ، وما "المجاز العقلي "و ما علاقاته ؟ ، وما بلاغته ؟

ففي البحث ما يوضح حال المجاز في مرحلة النشأة ، والنمو والأزدهار ، وفيه من التحليل الفريد لبعض أمثلة القرآن الكريم .

هدف البحث : عرض لأهم ملامح المنهج التحليلي وبيان اعجاز القرآن الكريم في بيان أسرار المجاز العقلي

أهمية البحث : توظيف البحث البلاغي وبيان أثر **التحليل البلاغي في قضية إعجاز القرآن الكريم ،**

1. منهجية البحث:

منهجية البحث : تعتمد الدراسة على منهج الاستقراء والاستنباط في بيان مكانة التحليل في الدرس البلاغي عامة والاعجاز البلاغي خاصة .

1- المجاز وتطوره :

جاء لفظ " المجاز " أول ما ظهر على يد أبي عبيدة (ت 210 هـ) في كتابه " مجاز القرآن " غير أن مفهوم المجاز عنده ليس هو المفهوم المعروف الآن في علم البيان ، لأن المجاز عنده لم يكن قسيماً للحقيقة أو مقابلاً لها ، و إنما هو مجرد تفسير الكلمة بمثل معناها ،

نجد ذلك في متابعتنا " لمجاز القرآن " في تعليقه على قوله تعالى : " وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ "[1]، مجازه تنبت الدهن والباء زائدة.

وفي قوله تعالى : " فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ "[2] " مجازه أيقنتم ". ، وفي قوله تعالى : " إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ "[3] " مجازها الجنون وهما واحد "[4] وتلك طريقته في الكتاب كله مما يدل على أن فكرة المجاز كانت غير واضحة عنده ، و إنما كان يعني بمجازه مجرد طريق إلى فهم ألفاظ القرآن الكريم ، فهو تفسير لغريب ألفاظ القرآن ومعجم معانيه ، وليس كاشفاً لوجوه البيان كما يعني بذلك علماء البلاغة ، مما يؤكد أنه كان يهدف من تأليف هذا الكتاب إلى شرح ألفاظ القرآن شرحاً لغوياً ، وليس إلى إبراز الصور البيانية غير أن بعض العلماء يعتقد أن " مجاز القرآن " يعتبر بحق النواة الأولى للبحوث البيانية ".[5]

وكذلك ابن قتيبة " 276 هـ " كانت كلمة المجاز عنده تعني ما كانت تعنيه عند أبي عبيدة ، يقول : " وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول ومآخذه ، ففيها الإستعارة والتمثيل ، والقلب والتقديم

والتأخير، والحذف والتكرار، والإخفاء والإظهار، والتعريض والإفصاح ، والكناية والإيضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الأثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص "[6].

ويختلف ابن قتيبة عن أبي عبيدة في فهم " المجاز" بأنه كان أكثر تحديداً لمدلول الكلمة إذ نقلها إلى المدلول البياني ، وعرفها بأنها " طرق القول ومآخذه " أي فنون الكلام [7].

وجاء القرن الثالث ومعه المتكلمون من المعتزلة وقد حاولوا تخليص العقيدة من كل ما لابسها من سوء فهم ، وكان مبدأ " التوحيد " عندهم منطلقاً أساسياً لمبحثهم في المجاز دفاعاً عن الألوهية من كل ما يمكن أن يقوم حولها من فهم يؤدي إلى التجسيم أو التشبيه ، وقد واجهوا كل النصوص القرآنية ، أو الأحاديث الشريفة التي تتعارض مع عقيدتهم ، أما الأحاديث فقد تحللوا مما خالف عقيدتهم منه بالطعن في متن الحديث.

ولعل الجاحظ (ت 255 هـ) هو أول معتزلي استعمل المجاز في التأويل ، ويستخدمه بالمعنى المقابل للحقيقة ، ويجعله كاشفاً لوجه من وجوه البيان ، أي " أن المجاز عنده هو ما يقابل الحقيقة بالمعنى الذي عرف عند المتأخرين من علماء البلاغة بل نراه يأتي باللفظة الواحدة في استعمالين مختلفين أحدهما مجازي والآخر حقيقي حتى يبين لنا الفرق بين الأسلوبين ، وقد كانت دراسة الجاحظ للمجاز صورة صادقة لبحوث المعتزلة ، فقد اختلف مع أهل الظاهر وأصحاب الحديث في المجاز، وخاض معهم بسببه المعارك ، واتهمهم بالنقص في الإدراك وعدم الفهم ، وقصر الإلمام بدقائق الأسلوب القرآني ، فضلاً عن أساليب العرب ، وضرب لذلك أمثلة ، " فقال في قوله تعالى : " يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ "[8]، العسل : ليس شراباً و إنما هو شيء يحول بالماء شراباً ، أو بالماء نبيذاً ، فسماه شراباً إذ كان منه يجيء الشراب ، ومن حمل اللغة على هذا المركب لم يفهم من العرب قليلاً ولا كثيراً ، وهذا الباب مفخرة العرب في لغتهم وبه وبأشباهه اتسعت ، فهل سمعتهم بأحد أنكر هذا الباب وطعن عليه من هذه الحجة ؟ " [9]

والجاحظ بذلك يعتبر أول من تناول المجاز تناولاً بلاغياً حيث مهد السبل لمن أتى بعده في تناولهم للحقيقة والمجاز في القرآن الكريم.

كما أنكر قوم المجاز عامة فيقول السيوطي : (رفض المجاز الظاهرية في القرن الثالث ، وكان على رأسهم داود بن علي الأصبهاني (ت 207 هـ) رأس المذهب ، و ابنه أبو بكر، مؤلف كتاب الزهرة " ت 297 هـ " ، كما رفضه أيضاً ابن القاص في القرن الرابع " ت 335 هـ " وهو من الشافعية ، و أبو مسلم الأصبهاني " ت 370 هـ " وغيرهم إلى إنكار المجاز، وكانت حجتهم في ذلك " ان المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه ، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى ") [10]

(ولكن جمهور أهل السنة والمعتزلة والأشاعرة كانوا يرون خلاف ذلك فالمجاز – عندهم – ليس عجزاً في التعبير، بل على العكس من ذلك أنه ثراء في العبارة تنفرد به اللغة ، وليست فيه شبهة الكذب للعلاقة الواضحة بين الأصل والفرع ، وعلى هذا الأساس يكون المجاز القرآني له ميزة خاصة في إيقاع المعاني في النفس يحدث تأثيراً وهزة لا تحدثها العبارة المجردة أو التعبير الحقيقي ، أما شبهة الكذب فهذه شبهة يسهل إزالتها ، لأنه كما يقول ابن قتيبة : " لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا فاسداً ، لأننا نقول نبت البقل ، وطالت الشجرة ، و أينعت الثمرة ، و أقام الجبل ، ورخص السعر.

ونقول : كان هذا الفعل منك في وقت كذا ، والفعل لم يكن و إنما كون ، ونقول : كان الله ، (وكان) بمعنى : حدث ، والله عزوجل قبل كل شيء بلا غاية لم يحدث فيكون بعد أن لم يكن.

والله تعالى يقول : " فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ "[11] و إنما يعزم عليهم ، ويقول تعالى : " فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ "[12] و إنما يربح فيها ، [13]

(و إنما كذب به ، ولو قلنا للمنكر لقوله : " جداراً يريد أن ينقض " : كيف كنت أنت قائلاً في جدار على شفا إنهيار:

رأيت جداراً ماذا ؟ لم يجد بداً من أن يقول : جدار أيهم أن ينقض ، أو يكاد أن ينقض ، أو يقارب أن ينقض ، و أيما قال فقد جعله فاعلاً ، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من لغات العجم إلا بمثل هذه الألفاظ) [14]

ويتعرض ابن قتيبة لفكرة الكذب مرة أخرى ويعالجها من جهة أخرى ، فيرى أن العرب تقول : إذا أردت تعظيم مهلك رجل عظيم الشأن ، (أظلمت الشمس له ، وكسف القمر لفقده ، وبكته الريح والسماء والأرض ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة به ، أنها قد شملت وعمت ، وليس ذلك يكذب لأنهم جميعاً متواطئون عليه ، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه ، وهكذا يفعلون في كل ما أرادوا أن يعظموه ويستقصوا صفته ، ونيتهم في قولهم : (أظلمت الشمس) أي كادت تظلم ، وكسف القمر، أي كاد يكسف ، ومعنى " كاد " هم أن يفعل ولم يفعل ، وربما أظهروا " كاد " ، و أكثر ما في القرآن من مثل هذا ، فإنه يأتي بـ" كاد " ، فما لم يأت بـ" كاد " ففيه إضمارها ، كقوله : " وبلغت القلوب الحناجر" أي كانت من شدة الخوف تبلغ الحلق "). [15]

وهذا الذيوما[16]

(ومرة أخرى يناقش ابن قتيبة هذه التفسيرات ويجادلهم بنفس سلاحهم فيعتمد على اللغة ، فهو يو افق على أن " القول " يقع فيه المجاز، إذ تقول العرب : قال الحائط ، وقال البعير، ولكنه يؤكد أن " الكلام " لا يقع فيه مجاز، ولا تقول العرب – في مثل هذه الحالة – " تكلم " إذ لا يعقل الكلام إلا بالنطق بعينه (خلا

وضع واحد وهو ان تتبين في شيء من الموات عبرة وموعظة ، فتقول : خبر وتكلم وذكر ، ولأن ذلك معنى فيه فكأنه كلمك) ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن أفعال المجاز – فيما يقول – لا تجيء منها المصادر ، ولا تؤكد بالتكرار أو غيره ، وإلا كانت أفعالاً حقيقية لا مجاز فيها ، وعلى هذا الأساس ، فإن القول في الآية " إنما قولنا لشيء ، إذا أردناه أن نقول له كن فيكون " ليس من قبيل المجاز ، لأن الآية أكدت القول بالتكرار ، وأكدت المعنى بـ (إنما) ، وأما قوله تعالى " وكلم الله موسى تكليماً " الذي يدخله المعتزلة في دائرة المجاز فليس منها و إنما هو من قبيل الحقيقة ، لأن الآية استخدمت الفعل " كلم " وهو لا يكون مجازاً إلا في حالة واحدة معروفة ليست منها الآية ، فضلاً عن أن فعل التكلم قد أكد باستخدام دائرة الحقيقة الذي ينبغي أن يفهم بالنظر إلى الآية ، " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء " أي أن كلام الله لموسى كان وحياً أو من وراء حجاب) [17]

وينتهي ابن قتيبة من دفاعه عن وقوع المجاز في القرآن الكريم كاشفاً عن المجاز العقلي وإن كان لم يذكر باسمه ، وذكر المبرد المجاز العقلي في كتابه " الكامل " وإن كان لم يذكر باسمه أيضاً " فذكر قوله عز وجل : " بل مكر الليل والنهار" [18] والمعنى بل مكركم في الليل والنهار" [19] وذكره ابن جني في كتابه " الخصائص " عندما علق على قول الخنساء :

ترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

يقول ابن جنى " إنما ساغ ذلك له " أي الوصف بالمصدر ؛ لأنه أراد المبالغة وأن يجعله هو نفس الحدث لكثرة ذلك منه ، ويرى أن هذا الوجه هو الأقوى ، ويجوز وجه آخر وهو على حذف مضاف أي ذات إقبال وإدبار ولكن الوجه الأول أصنع من هذا وألطف " [20]

كما تحدث عنه الفراء في كتابه " معاني القرآن " واستفاد من السابقين كسيبويه و أبي عبيدة فعند تناوله قوله : " فما ربحت تجارتهم " [21] قد يقول قائل أن التجارة لا تربح بل التاجر ، قال : ذلك من كلام العرب " ربح بيعك وخسر بيعك " " فحسن القول بذلك لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة فعلم معناه ومثله من كلام العرب ، هذا ليل نائم ومثله من كتاب الله " فإن عزم الأمر" و إنما العزيمة للرجال ولا يجوز الضمير إلا في مثل هذا ، فلو قال قائل : قد خسر عبدك لم يجز ذلك أن كنت تريد أن تجعل العبد تجارة يربح فيه أو يوضع لأنه قد يكون العبد تاجراً فيربح أو يوضع فلا يعلم معناه إذا ربح هو من معناه إذا كان متجوزاً فيه ، فلو قال قائل قد ربحت دراهمك ودنانيرك ..... كان جائزاً لدلالة بعضه على بعض ، فيقول الفراء يشترط القرينة الدالة على المجاز فالربح والخسارة معلوم أنهما في التجارة ، فالتجارة محل للربح والخسارة ، فهناك علاقة بين الربح والتجارة ، وهي المكانية أي أن الربح مكانه التجارة ، بخلاف إذا لم توجد قرينة والتبس المراد فلا يصح التجوز مثل لو قلت قد خسر عبدك ، فإن العبد قد يكون تاجراً فيربح أو يخسر أو يكون العبد تجارة فهنا التبس المراد فلا يصح التجوز" [22]

وأشار الفراء " إلى الإسناد في الفاعلية كما قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام " لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم " [23] يقول : " كأنك قلت لا معصوم اليوم من أمر الله " [24] وقال في قوله تعالى : " خلق من ماء دافق " وقوله : " من ماء دافق معناه مدفوق " [25]

كما أشار" إلى التجوز في النسبة الإضافية كقوله تعالى : " بل مكر الليل والنهار" قال : " بل مكر الليل والنهار وهو في المعنى للآدمين كما تقول " نام ليلك وعزم الأمر" إنما عزمه القوم فهذا مما يعرف معناه "[26]

فترى كيف كان السلف الصالح يفهم الألفاظ بمعناها المحدد دون أن يتسرب من دائرة الحقيقة ، ونرى كيف يتناول أهل السنة والمعتزلة المثال نفسه في مرونة متفاوتة دون التقيد بظاهر الألفاظ والإكتفاء بمدلولها ، (فابن عباس حين يقرأ قوله تعالى : " فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِين " [27] يفسرها بقوله : " لكل مؤمن باب في السماء يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه ، فإذا مات بكى عليه الباب وبكت عليه آثاره ومصلاه ، والكافر لا يصعد له عمل ، ولا يبكي – لموته – باب في السماء ولا أثر في الأرض "). [28]

ولكن ابن قتيبه لا يسير على هذا المذهب في التفسير بالظاهر ، بل يدرك ما تعارف عليه العرب حين يهلك رجل عظيم الشأن عام النفع فيقولون : " أظلمت الشمس له ، وكسف القمر لفقده ، وبكته الريح والسماء والأرض ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة وأنها قد شملت وعمت. [29]

الحقيقة العقلية والمجاز العقلي

الإسناد الخبري : ضم كلمة إلى أخرى ليعطي معنى مفيداً ، هذا الإسناد قد يكون حقيقة أو مجازاً .

الحقيقة العقلية : إسناد الفعل ، أو ما في معنى الفعل (اسم الفاعل ، اسم المفعول ، المصدر ، الصفة المشبهة ، أفعل التفضيل) إلى ما هو له في الظاهر.

كقوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ " [30] فالفعل " ينزل ، يعلم " مسند إلى فاعله الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى ، وهذا يسمى " حقيقة عقلية ".

وكذلك قولك : " خلق الله السماوات والأرض " فإسناد الفعل " خلق " إلى لفظ الجلالة " الله " إسناد حقيقي ، فأسند الفعل إلى ما هو له ، ولا يشك أو ينكر في ذلك أحد.

وكقولك أيضاً : " أنزل الله الغيث " ، فإسناد الإنزال إلى الله " عزوجل " هو إسناد حقيقي لأن إنزال الغيث من قبل الله حقيقة وهذا يسمى حقيقة عقلية.

وكذلك ضرب محمد زيداً ، فأسندت الفعل ضرب إلى محمد " الفاعل " ، فهذا الإسناد يسمى حقيقة عقلية.

االمجاز العقلي : إسناد الفعل أو ما في معناه لغير ما هو له (أي إسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي) وسمي هذا المجاز بالعقلي لإستناده إلى العقل دون الوضع.

كقوله تعالى : " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب " [31] فالفعل ابن مسند إلى ضمير هامان ، وهذا الفعل لا من صنع الوزير هامان بل من صنع عمال البناء ، لكن لما كان هامان هو الآمر لهم بالفعل أسند الفعل إليه ، فالمجاز هنا في إسناد الفعل لهذا الفاعل " ضمير" ، وهذا هو المجاز العقلي ، وقرينته إسناد ضمير الفعل " ابن " إلى هامان ، وهامان وزير لا يبني أما العلاقة فهي الصلة بين الفاعل الحقيقي والفاعل المجازي في تعلق الفعل بهما ، وهي هنا السببية ، لأن الفاعل المجازي وهو الضمير العائد على هامان ، هو سبب في صدور الفعل من الفاعل الحقيقي وهو "العمال ".

المجاز العقلي يقع في : (أ) النسب الإسنادية. (ب) النسب الإضافية والإيقاعية .

(أ) علاقات النسب الإسنادية :

1- علاقة السببية :

وهي إسناد الفعل إلى سببه ، قال تعالى : " إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ " [32] ، فالفعل " يذبح ، و يستحي " أسند إلى فرعون وهو غير فاعله الحقيقي ؛ لأن فرعون لم يباشر الذبح بنفسه ، ولا يستحي النساء بنفسه بل كان يأمر جنوده بذلك فكان السبب في ذلك الفعل ؛ ولذلك صح إسناد الفعل إلى فرعون لما بين الفاعل الحقيقي وهو الجنود والفاعل المجازي وهو فرعون من علاقة ، وهو أن فرعون سبب في هذا الفعل.

وبلاغة هذا المجاز: هو المبالغة في سبب في حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي للفعل ، ومثله قوله تعالى : " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب " [33] فالفعل " ابن " أسند إلى الضمير العائد على هامان وهو غير فاعله الحقيقي بل هو سبب في هذا الفعل ، فأسند الفعل للسبب الآمر؛ لعلاقة السببية.

ومنه قوله الله - عزوجل : " أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ "[34] فالفعل " ربحت " أسند إلى " تجارتهم " وهو غير فاعله الحقيقي ؛ لأن التجارة لا تربح ، و إنما الذي يربح هو التاجر ، فالتجارة هي سبب الربح فهذا مجاز عقلي علاقته السببية ، وبلاغة هذا المجاز هو المبالغة في سبب حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي للفعل.

ويمكن أن نقول مثل ذلك بنى الوزير المدينة ، أقام المهندس المشروع السكني.

والسر البلاغي في المجاز هو المبالغة في سبب حصول الفعل و إبراز لأهمية أمر الوزير وأمر المهندس إذ لولا أمره للعمال وتلك التوجيهات الرشيدة ما تم بناء المدينة ولا المشروع السكني ، ومنه أيضاً سرني قدومك أي سرني الله بسبب قدومك وعلى ما سبق لكل مجاز عقلي علاقة وقرينة وسر بلاغي.

2- علاقة الزمانية :

وهي إسناد الفعل إلى زمانه قال تعالى : " فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا " [35] أسند الفعل " يجعل " إلى ضمير اليوم ؛ وهو زمان ، وهو فاعل غير حقيقي ؛ لأن الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى ، فأسند إلى الظرف لأنه وقع فيه ، فالظرف زمان للفعل ، وهذه علاقة الزمانية.

وبلاغة المجاز: المبالغة في زمان حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي.

قال تعالى : " الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً " فوصف النهار بأنه مبصر والنهار لا يبصر و إنما هو زمان لإبصار القوم فيه فهو مجاز عقلي علاقته الزمانية.

و أيضاً قوله تعالى : " إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم " وصف اليوم بأنه أليم ، واليوم زمان لوقوع الألم فيه فهو مجاز عقلي علاقته الزمانية.

وكقول الشاعر: أبي البقاء الرندي :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

الشاهد في قوله : " من سره زمن ساءته أزمان " فالزمن – الوقت – لا يأتي منه سرور أو إساءة ولكن الأحداث التي تحدث في هذا الزمن فإسناد السرور إلى " زمن " والإساءة إلى " أزمان " مجاز عقلي علاقته الزمانية.

وبلاغة المجاز: المبالغة في زمان حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي.

و أيضاً قول الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

مجلّة الذاكرة المجلد:11 العدد : 02 التاريخ : 2023/06/01
ISSN : 2335-125X – EISS :1734 -2676

الشاهد في قوله : " ستبدي - الأيام " أسند الفعل " تبدي " إلى " الأيام " وهو غير فاعله الحقيقي ، لأن الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى.

فأسند الفعل " تبدي " إلى " الأيام " لأن الأيام زمان للفعل ، وهذا مجاز عقلي علاقته الزمانية .

و أيضاً قولك : " فلان نهاره صائم وليله قائم " حيث أسند ما في معنى الفعل وهو " صائم " لضمير يعود إلى النهار لعلاقة الزمانية ، وأسند ما في معنى الفعل وهو " قائم " لضمير يعود إلى الليل لعلاقة الزمانية ، لأن الأصل " صام زيد في النهار" أو زيد صائم في النهار وقام محمد في الليل أو محمد قائم في الليل.

3- علاقة المكانية :

وهي إسناد الفعل إلى مكانه قال تعالى : " وأخرجت الأرض أثقالها " فأسند " أخرج " إلى " الأرض " وهي فاعل غير حقيقي لأن الفاعل الحقيقي هو الله – سبحانه وتعالى – فأسند الفعل إلى الأرض ، والأرض مكان للفعل ، وهذه علاقة المكانية.

وبلاغة المجاز : المبالغة في مكان حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي.ومنه قوله تعالى : " وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ " [36] أسند الفعل " تجري " إلى " الأنهار" وهي فاعل غير حقيقي ، لأن الفاعل الحقيقي هو الماء فأسند الفعل تجري إلى الأنهار وألأنهار مكان لجري الماء ، فالإسناد مجاز عقلي علاقته المكانية.

وبلاغة المجاز: المبالغة في مكان حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي.

ومنه قول الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال الدم أبطح [37]

أي العفو والصفح من شيم قوم الشاعر عندما قدروا أما مخاطبيه عندما قدروا أسرفوا في سفك الدماء حتى سال الدم بالمكان الواسع.

الشاهد في قوله " سال – أبطح " أسند الفعل " سال " إلى " أبطح " وهو فاعل غير حقيقي ؛ لأن الفاعل الحقيقي هو " الدم " ، فإسناد الفعل " سال " إلى " أبطح " مجاز عقلي علاقته المكانية لأن المكان لا يسيل ، و إنما يسيل الدم المراق فيه. ، و" أبطح " المكان الواسع الذي فيه دقاق الحصى.

وبلاغة المجاز: المبالغة في مكان حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي فكثرة الدم المراق غمر المكان وكأن المكان بما فيه من دماء يسيل ، وهذا للمبالغة في كثرة الدم المراق في المكان.

4- علاقه الفاعلية :

إسناد المبني للمفعول إلى الفاعل : قال تعالى : " وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا " [38] أسند ما في معنى الفعل - اسم المفعول – " مستوراً " إلى ضمير يعود إلى " حجاباً " والعلاقة الفاعلية لأن الحجاب يكون ساتراً لا مستوراً.

وبلاغة المجاز: هو المبالغة في الستر للتأكيد على عدم وصول يد الكفار إلى النبي – ﷺ – ؛ لأن الله – سبحانه وتعالى – سترنبيه لحجاب خاص ، فهو ليس ساتراً فحسب بل هو مستوراً أيضاً.

ومنه قوله تعالى : " جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا"[39] وحقيقة التعبير إنه كان " وعده مأتياً صاحبه " الشاهد " وعده مأتياً " اي آتياً ، أسند اسم المفعول " مأتياً " إلى " الوعد " وهو الفاعل غير الحقيقي والفاعل الحقيقي صاحب الوعد أي أن الوعد آتى صاحبه وهو مجاز عقلي لعلاقة الفاعلية.

وبلاغة المجاز: هو المبالغة في تحقيق ما وعد الله – عزوجل – عباده المؤمنين.

ومن الأمثلة المشهورة " ماء مغمور وسيل مفعَم " وحقيقة التعبير ماء غامر وسيل مفعِم.

فأسند " مغمور" إلى " اليوم " مجاز عقلي لعلاقة الفاعلية ؛ لأن الماء لا يكون مغموراً بل غامراً وأسند " سيل " إلى " مفعم " مجاز عقلي لعلاقة الفاعلية ، لأن السيل لا يكون " مفعَماً " بل مفعِماً ".

5- علاقه المفعولية :

وهي إسناد المبني للفاعل إلى المفعول به ، قال تعالى : " فهو في عيشة راضية " أسند ما في معنى الفعل – اسم الفاعل – راضية إلى ضمير مستتر تقديره هي يعود إلى " عيشة " والعيشة الحقيقية مفعول للرضا ، فهي مرضية لا راضية ؛ لأن العيشة لا ترضى بل يقع عليها الرضا.

وبلاغة المجاز: هو المبالغة في الرضا لدرجة أن العيشة راضية عن أصحابها وليست مرضية مبالغة في النعيم الذي أعده الله للمؤمنين فرضوا حتى العيشة أصبحت راضية بصاحبها.

ومنه قوله تعالى : " خلق من ماء دافق " [40] الشاهد " ماء دافق " أسند ما في معنى الفعل – اسم الفاعل (دافق) – إلى " ماء " والماء لا يكون دافقاً بل مدفوقاً وهذا مجاز عقلي علاقته المفعولية.

وبلاغة المجاز المبالغة في سرعة اندفاع الماء حتى أصبح الماء مدفوقاً.

ومنه قوله تعالى : " أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا " [41] أسند ما في الفعل " آمناً " إلى " حرماً " والحرم لا يكون آمناً بل مأموناً أي آمناً أهل الحرم ، فالآية مجاز عقلي علاقته المفعولية.

ومثله " منزل عامر" أسند ما في معنى الفعل " عامر" إلى " منزل " والمنزل لا يكون عامراً بل معموراً ، فهذا مجاز عقلي علاقته المفعولية.

6- علاقة المصدرية :

هي إسناد الفعل إلى مصدره ، قال تعالى : " فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة " ، أسند الفعل المبني للمجهول " نفخ " إلى مصدره " نفخة " ولم يسند إلى نائب فاعله الحقيقي لعلاقة المصدرية ، والذي سوغ هذا الإسناد أن المصدر جزء من الفعل ، وكقولك : فلان ثارت ثورته ، فأسند الفعل " ثار" إلى ثورته " المصدر" مبالغة في الثورة.

وبلاغة المجاز: هو المبالغة في المصدر في حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي.

ومنه قوله تعالى : " فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة " الشاهد " نفخ نفخة " أسند الفعل المبني للمجهول " نفخ " إلى مصدره " نفخه " وهو ليس الفاعل الحقيقي والفاعل الحقيقي هو النافخ فالآية مجاز عقلي علاقته المصدرية وبلاغته المبالغة في المصدر في حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي.

ومنه قول أبي فراس الحمداني :

سيذكرني قومي إذا جُدَّ جِدُّهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

الشاهد : " جد جدهم " أسند الفعل " جد " إلى " جِدُّهم " وهو ليس الفاعل الحقيقي ، لأن الفاعل الحقيقي هو القوم ، والأصل " جد القوم جدهم " وهذا مجاز عقلي علاقته المصدرية.

بلاغة المجاز : المبالغة في المصدر في حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي ؛ لأن ما ينزل بالقوم من أمور خطيره يعدون لها كل ما يستطيعون من قوة ويدعون الغائب للدفاع عن الأحساب.

ومنه قولهم : " فلان جد جده وسحر سحره " أسند الفعل " جد " إلى مصدره " جده " وهو ليس فاعله الحقيقي والفاعل الحقيقي هو " صاحب " فالأصل أن يسند إلى صاحب الجد فيقال : جد صاحب الجد ، فإسناد " جد " إلى " جده " مجاز عقلي علاقته المصدرية.

بلاغة المجاز: المبالغة في المصدر في حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي وذلك مبالغة في جديته واستعداده ، وكذلك " سحر سحره " أسند الفعل " سحر" إلى مصدره " سحرة " وهو فاعل غير حقيقي

والفاعل الحقيقي هو " صاحب " ، والتقدير سحر صاحب السحر ، فإسناد " سحر" إلى " سحره " مجاز عقلي علاقته المصدرية.

بلاغة المجاز: المبالغة في المصدر في حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي.

(ب) المجاز العقلي يقع في النسب الإضافية والإيقاعية :

(إيقاع الفعل المتعدي على غير ما حقه أن يقع عليه مع وجود قرينة وعلاقة).

1- النسب الإضافية :

أي إضافة المصدر إلى غير ما حقه أن يضاف إليه.

كقوله تعالى : " وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار" ، الشاهد : " مكر الليل والنهار" وأضيف مكر إلى الليل والنهار وهذا غير حقيقي ، والإسناد الحقيقي إضافة مكر إلى الناس " والتقدير" : بل مكر الناس في الليل والنهار.

فحذف لفظ " الناس " وأضيفت مكر إلى الليل من إضافة المصدر إلى زمانه (أي إلى غير ما حقه أن يضاف إليه) وهذا على سبيل المجاز العقلي لعلاقة الزمانية.

2- النسبة الإيقاعية :

أي : أن الفعل المتعدي يقع على غير ما حقه أن يقع عليه لوجود قرينة وعلاقة تمنع أن يكون إيقاع الفعل على مفعولة له حقيقة ، قال الله تعالى : " ولا تطيعوا أمر المسرفين " أسند الفعل " تطيعوا " إلى " أمر" وهذا غير حقيقي والحقيقي " لا تطيعوا المسرفين بسبب أمرهم " فإيقاع الفعل " تطيعوا " على " أمر" مجاز عقلي علاقته السببية ؛ لأن الطاعة لا تقع على الأمر بل على صاحب الأمر.

3- الإسناد بين المبتدأ والخبر:

وقد ذكره الإمام عبد القاهر في قل الخنساء :

ترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

الشاهد " هي إقبال وإدبار"

يقول الإمام : " وذاك لأنها لم ترد – أي الخنساء – من الإقبال والإدبار غير معناهما فتكون قد تجوزت في نفس الكلمة و إنما تجوزت في أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر ولغلبة ذاك عليها و اتصاله بها ، و أنه لم

يكن لها غيرهما كأنها قد تجسمت من الإقبال والإدبار و إنما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو أنها كانت قد استعار الإقبال والإدبار لمعنى غير معناهما الذي وضع له في اللغة ، ومعلوم أن ليس الإستعارة مما أرادته في شيء .... واعلم أن ليس بالوجه أن يعد هذا على الإطلاق ما حذف منه المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه مثل قوله – عزوجل - : " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ " [42] وإن كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف ويقولون : فإنما هي ذات إقبال وإدبار ذاك لأن المضاف المحذوف من نحو الآية الكريمة وتقديره " واسأل أهل القرية " في سبيل ما يحذف من اللفظ ويراد في المعنى كمثل أن تحذف خبر المبتدأ أو المبتدأ إذ دل الدليل عليه إلى سائر ما إذا حذف كأن في حكم المنطوق به ، وليس الأمر كذلك في بيت الخنساء لأنا إذا جعلنا المعنى فيه الآن كالمعنى إذا نحن قلنا : فإنما هي ذات إقبال وإدبار أفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا إلى شيء مغسول وإلى كلامي عامي مرذول " [43]

وخلاصة كلام عبد القاهر: أن إسناد الإقبال والإدبار للناقة من قبيل المجاز العقلي ،

وبلاغة المجاز : المبالغة في وصفها بالسرعة والتخييل أن تكون حركة الإقبال هي نفسها حركة الإدبار.

والقرينة : استحالة وقوع الإقبال والإدبار من الناقة في نفس الوقت على سبيل الحقيقة لأنها حركتان متنقضاتان.

وينفي ألإمام أن يكون الكلام على تقدير حذف مضاف والتقدير فإنما هي ذات إقبال وإدبار كما في ألآية الكريمة " واسأل القرية " لأننا بذلك نكون خرجنا عن المبالغة في الوصف بالسرعة التي يتطلبها البيت ، والمبالغة لا تأتي إلا إذا كان الإسناد مجازياً ، فكأنها لكثرة ما تقبل وما تدبر تجسمت من الإقبال والإدبار.

بلاغة المجاز العقلي

1- الإيجاز حيث يذكر المعنى في أقل ما يمكن من اللفظ.
2- المبالغة في التعبير كما رأينا في الأمثلة السابقة.
3- من أساليب التفنن في القول .

يقول الإمام عبد القاهر " هو كنز من كنوز البلاغة ، مادة الشاعر المغلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والإتساع في طرق البيان .... و أنه يدق ويلطف حتى يمتنع مثله إلا على الشاعر المفلق والكاتب البليغ " [44]

4- هو مجال رحب للتحايل على دفع التهم والجرائم.

ومن ذلك فلان قتله جهله ، وكأن من يقول هذا يريد ان يدفع تهمة القتل عن قاتله.

4. خاتمة:

فترى كيف كان السلف الصالح يفهم الألفاظ بمعناها المحدد دون أن يتسرب من دائرة الحقيقة ، ونرى كيف يتناول أهل السنة والمعتزلة المثال نفسه في مرونة متفاوتة دون التقيد بظاهر الألفاظ والإكتفاء بمدلولها ، (فابن عباس حين يقرأ قوله تعالى : " فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِين " [45] يفسرها بقوله : " لكل مؤمن باب في السماء يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه ، فإذا مات بكى عليه الباب وبكت عليه آثاره ومصلاه ، والكافر لا يصعد له عمل ، ولا يبكي – لموته – باب في السماء ولا أثر في الأرض "). [46]

ولكن ابن قتيبه لا يسير على هذا المذهب في التفسير بالظاهر ، بل يدرك ما تعارف عليه العرب حين يهلك رجل عظيم الشأن عام النفع فيقولون : " أظلمت الشمس له ، وكسف القمر لفقده ، وبكته الريح والسماء والأرض ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة وأنها قد شملت وعمت. [47]

المصادر:

([1]) سورة المؤمنون آية 20
([2]) سورة النساء آية 3
([3]) سورة المؤمنون آية 25
([4]) مجاز القرآن جـ2 ص : 56 - 57
([5]) مناهج تجديد للشيخ أمين الخولي ص 107
([6]) تأويل مشكل القرآن ص 15
([7]) آثر القرآن في تطور النقد العربي
([8]) سورة النحل آية 69
([9]) الحيوان جـ 426/5
([10]) الإتقان للسيوطي 36/2
([11]) سورة محمد آية 21
([12]) سورة البقرة آية 16
([13]) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 99
([14]) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 99 ، 100
([15]) تأويل مشكل القرآن ص 127
([16]) أسرار البلاغة ص 361
([17]) تأويل مشكل القرآن ص 81 ، 83
([18]) سورة سبأآية 33
([19]) الكامل للمبرد جـ1 ص 19 نشر التجارية
([20]) الخصائص لابن جنى جـ 1893 ، دار الكتب
([21]) سورة البقرة آية

([22]) سورة نوح آية
([23]) معاني القرآن 14/1 ، 15 للفراء
([24]) معاني القرآن 15/2 ، 16
([25]) معاني القرآن 15/2 ، 16
([26]) معاني الفراء 2/ 263 بتصرف
([27]) سورة الدخان آية 29
([28]) تأويل مشكل القرآن ص 129
([29]) تأويل مشكل القرآن ص 127
([30]) سورة لقمان آية 34
([31]) سورة غافر آية 36
([32]) سورة القصص آية 4
([33]) سورة غافر آية 36
([34]) سورة البقرة آية 16
([35]) سورة المزمل آية 17
([36]) سورة الأنعام آية 6
([37]) " أبطح " المكان الواسع الذي فيه دقاق الحصى
([38]) سورة الإسراء آية 45
([39]) سورة مريم آية 61
([40]) سورة الطارق آية
([41]) سورة القصص آية 57
([42]) سورة يوسف آية 82
([43]) دلائل الإعجاز 197 ، 198 تحقيق المراغي
([44]) دلائل الإعجاز جـ1 : 72 عبد القاهر الجرجاني – ط المنار
([45]) سورة الدخان آية 29
([46]) تأويل مشكل القرآن ص 129
([47]) تأويل مشكل القرآن ص 127

المراجع :

1-الإتقان جلال الدين السيوطي في علوم القرآن 1862
2-المراغي أحمد مصطفى. الايجاز شرح كتاب دلائل الإعجاز القاهرة دار المكتبة العربية 1950

3-ابن المثني أبو عبيدة معمر مجاز القرآن جـ2 مكتبة الخانجي القاهرة 1381هـ
4--سلام محمد زغلول آثر القرآن في تطور النقد العربي دار المعارف مصر 1372هـ
الجرجاني
5-أبو بكر عبد القاهر بن عبد الحمن أسرار البلاغة تحقيق حمود شاكر الناشر مطبعة المدني بالقاهرة

6-لجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر ا الحيوان جـ5/ وضع حواشيه محمد باسل عيون السود الناشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان 1971 م
7-ابن جنى الخصائص أبي الفتح عثمان تحقيق محمد على النجار 1893 ، دار الكتب المصرية
8-الكامل محمد بن يزيد المبرد نشر التجارية 1864 م

9-ابن قتيبة الدينوري أبومحمد عبد الله بن مسلم تأويل مشكل القرآن تحقيق إبراهيم شمس الدين الناشر دار الكتب العلمية –بيروت

10- الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد دلائل الإعجاز جـ1 تخقيق محمود شاكر مطبعة الخانجي القاهرة
11- الفراء أبو زكريا معاني القرآن 1/ 2/
12- الخولي أمين مناهج تجديد في البلاغة والتفسير والأدب الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة 2003